

# أطفال الشراء

## دراسة العلاقة بين المال وتشكيل نفسية الطفل

د حسين أمين\*

يحكى أن صياداً فى الغابة صاد، أسرة كاملة من الأسود.. فباع منها الأسد إلى احدى حدائق الحيوان.. وباع اللبؤة إلى حديقة أخرى.. وباع الشبل الصغير إلى أحد الأثرياء فى ماليزيا، ليلعب به أطفاله فى حديقة قصره المنيف.. وعندما كبر الشبل صنعوا له قفصاً كبيراً من الحديد خوفاً على الأطفال منه.

كان الشبل مدلاً.. يأكل حتى يشبع.. ثم ينام ويصحو لياكل من جديد.. وصنعوا له سلسلة طويلة فى رقبتة لكى يأخذه الحارس كل يوم للنزهة فى أرجاء القصر.. ولم يكن ينقصه إلا أن تكون الصحاف التى يُقدم له فيها الطعام صحافاً من ذهب..

---

\* أستاذ جراحة المسالك البولية .. ويعتز الكاتب بتشابه اسمه مع اسـمى الاخوين العزيزين السفير حسين أحمد أمين، ود حسين أمين أستاذ مادة الإعلام بالجامعة الأمريكية بالقاهرة.

لقد تربى هذا الأسد في ظل الثروة والرفاهية .. ولم يتعلم شيئاً من فنون التعامل مع باقي الأسود .. ولم يتعلم صنعة الصيد والتعامل مع الفرائس والظباء .. صحيح أن الخالق قد وضع فيه غرائز ثابتة لا تزول .. ولكنها لم تُصقل بالتجربة والخطأ .. وبالمران والتدريب ..

إننا نشاهد في أفلام الطبيعة والغابة كيف أن صفار الأسود تتقافز ويصارع بعضها البعض تحت أنظار اللبوة طول النهار .. لكي تكتسب قوة العضلات ومهارات الشد والجنب والصراع .. وتكتسب أيضاً فنون التعامل فيما بينها وبين الآخرين .. وعندما تخرج الأسود للصيد تخرج معها الصغار .. تقف في أحد الأركان تتفرج علي أسلوب الكر والفر وحصار الفريسة ثم الإمساك بها .. وعندما تكبر الأشبال يشركها الكبار في صيد الظباء الصغيرة .. حتي تكتسب الخبرة والتجربة .. قبل أن تبتعد وحدها عن مكان الأسرة .. إن الغرائز وحدها لا تكفي .. وقد ثبت أن جزءاً كبيراً من فنون الحياة لا يُكتسب بالغرائز فقط .. بل بالمران والتدريب والتهذيب ..

والآن دعونا نتروك هذا الأسد لمصيره الحزين .. ودعونا نعود إلي القصر الفاخر .. لنري ما الذي حدث للأبناء الذين ورثوه .. وسوف نجد .. وباللهول .. أنهم قد أصابهم بعض ما أصاب هذا الأسد المسكين !!!

ومضت السنين ومات الرجل الثري .. وورث أبنائه ثروته وقصره وحدائقه .. وورثوا أيضاً هذا الأسد .. وقد أصبح ليثاً كبيراً مهيباً .. يدوي زئيره في جنبات القصر فيرج جدرانه .. لكي يتضاحك به الضيوف .. ولم يشأ الأبناء أن يحتفظوا بالأسد .. وقرر أكبرهم أن يعيده إلي الغابة التي أسر فيها .. والتي لا تبعد إلا بضعة أميال .. وصنع له سلسلة متينة حول رقبتة ثبت فيها جهاز إرسال دقيق .. بحيث يمكنه أن يتتبعه وأن يتعرف علي مكانه في الغابة من وقت لآخر .. إما بطائرته الهليكوبتر أو بسيارته السفاري الفارهة ..

أتدرون ما الذي حدث لهذا الأسد ؟ .. لقد جاع لأول مرة في حياته بعد يوم كامل دون تدليل .. واكتشف أن عليه لأول مرة في حياته أن يعتمد علي نفسه .. to fend for himself .. واستنجد بغرائزه التي أودعها الله فيه .. وخرج يبحث عن طعام وشراب .. ولكن لم يحالفه التوفيق .. كانت الفرائس تفلت منه في سهولة ويسر .. وكانت الأسود الأخرى تسبقه إليها .. وتنتظر إليه في احتقار .. بل وتزججه من طريقها دون اكتراث .. واستند إلي جذع شجرة .. ثم رقد تحتها ذليلاً كسير الفؤاد .. وهزل الأسد المهيب .. وضعت أطرافه .. وصار يتلصص علي الجيف ويقايا طعام الحيوانات الأخرى يسرق منها الفتات .. وفي خلال شهر من الزمان وجده صاحبه تحت أشجار الغابة .. وقد مات !!!

وقد نطن أنهم قد لا يحتاجون إلى مواجهة حقائق الحياة في مستقبلهم .. فعندهم من الثروة ما يحميهم من صروف الدنيا وغدورها .. ولكننا في ذلك واهمون .. فالحياة ليست كميات من المال وكميات من الطعام والشراب وحسب .. وهؤلاء الأبناء والبنات هم بشر يحتاجون إلى كل ما تحتاجه طبيعة البشر من صداقات .. وعداوات .. وتعامل مع الآخرين .. أغنياء أو فقراء .. قساة أو رحماء .. حاققين أو مُحَبِّين .. أخياراً أو أشرارا .. سواء في مجال العمل .. أو مجال البيت .. بل ويحتاجون أيضاً إلى علاقات حميمة .. وإلى رفيق أو رفيقة يشاركونهم بقية العمر .. إلى آخر ما يحتاجه البشر ..

لا يمكن لأبنائنا أن يتقنوا فنون التعامل مع الآخرين في ظل الحماية والرفاهية التي يحيطهم بها الآباء والأمهات في هذا الزمان .. وهذه الفنون هي الأساس الأول والآخر في تعاملهم ليس فقط مع باقي البشر .. بل مع الدنيا كلها .. ومع الحياة ..

ولعلنا لا ننسى شيئاً آخر أيضاً في غاية الأهمية .. إن الشاب ( أو الفتاة ) الذي يحصل على كل ما يمكن أن يحلم به الإنسان سوف تكون سعائته بها جميعاً سعادةً مبتورة منقوصة .. إننا نحرمة من الأحلام .. وهو حرمان ولا شك خطير .. وتكمن خطورته في أننا نحرمة من أن يتمني

إننا نخطئ كثيراً في حق أبنائنا عندما نوفر لهم كل شيء دون أي تعب أو نصب أو جهد على الإطلاق .. لأن مداركهم الصغيرة لن تقدر حجم الجهد الذي بذله الآباء من أجل هذا الذي يقدم لهم .. وسوف نتعود أفهامهم على أن الحال الطبيعي لهذه الدنيا .. هو أن يقولوا لكل ما يتمنونه : كن .. فيكون !!

وعادةً ما تكون حاجتنا في ذلك أننا نريد أن نجذبهم المشاق التي عانيناها في الصغر .. دون أن ندري أن هذه المشاق .. وهذه الصعاب .. هي التي جعلت منا رجالاً ونساءً ناجحين موفقين في خضم هذه الحياة .. إننا بذلك نؤذيهم من حيث نريد نفعمهم .. ونحرمة من أهم وسائل البقاء .. وصدق المثل المصري الذي يقول " أن من لم يربيه أبوه وأمه فسوف تربيته الأيام والليالي .. " ومن المؤكد أن تربية الأيام والليالي سوف تكون أقسى كثيراً من تربية الآباء والأمهات ..

وعادةً ما تلجأ إلى حجة أخرى نبرر بها هذه الأخطاء .. فنُدَّعي أننا نراعي أن لا نحرمة مما يستمتع به زملائهم وأقرانهم في الشارع أو الملعب أو المدرسة .. وهو ما يعني بكل بساطة أننا نتسابق جميعاً في إفساد أبنائنا .. ودفعهم دفعاً إلى مصير لا يختلف كثيراً عن مصير الشبل المرفه المدلل الذي كبر فهلك عندما واجهته حقائق الحياة ..

سيدي .. لقد أسمعنا قصة شبلي  
خرج إلي الغابة دون خبرة .. فأمكنته  
الغابة .. واكتني لا أفهم صلة هذه القصة  
بحياتنا .. ألا أسمعنا قصصاً مثلها عن بني  
البشر ۱۱۹

قال الطبيب .. يا سيدنا .. سوف  
أسمعك منها الكثير .. ولكن دعني أولاً أريك  
تطبيقاً بسيطاً لأول درس عن علاقة المال  
بطبيعة البشر ..

أنت تعطني أبنائك وبناتك مصروفاً  
بسيطاً ينفقون منه علي الحوي واللعب ..  
قال أي والله يا طبيب .. وقد كان جدي يعطي  
أبي ملايم .. وصار أبي يعطينا قروشاً ..  
وتدرج الأمر بي اليوم مع أطفالي نتحدث عن  
الجنه الكامل دون ما نقصان ..

قال الطبيب .. إذن فاسمع يا سيدنا  
أولاً هذا الحديث الشيق عن مصروف اليد  
الخاص ..

\*\*\*\*\*

### المصروف الشخصي الخاص .. Private allowance

إذا تصورنا أسرة من الأب والأم والجدة  
والعمة وستة من الأبناء تعيش في منزل واحد  
.. وسألنا كل واحد منهم في لحظة صدق  
وصفاء عن شعوره في هذا الزحام لما وجدنا  
عند أي منهم أي غضاظة .. بل قد نجد  
عندهم سرورا وسعادة باجتماع الشمل أكثر

شيئاً .. وأن يجاهد من أجله .. وأن يسعى  
وراءه حتي يحصل عليه .. إننا نحرمه من  
فرصة النجاح في تحقيق حلم أو خيال كان  
يتمني الوصول إليه .. نحرمه من وجود هدف  
له في الحياة يسعى إليه .. ولا نترك له ( أو  
لها ) إلا الفراغ ..

ولا يخالجنني شك في أن كثيراً من  
الأمهات والآباء سوف يجدون في هذه  
السطور إنعكاساً واضحاً لما يرونه في  
بيوتهم كل يوم .. وأكاد أوقن أن كل جملة  
أتحلح بأباً كاملاً في كتاب طويل عريض  
أو موضوعاً لفيلم سينمائي ممتع يجول فيه  
ويحصل الكاتب والسيناريست والمخرج  
والممثلون ..

وأملني كل الأمل أن يكون هذا  
الحديث بداية لمراجعة صادقة مع نفوسنا  
ومع أبنائنا وبناتنا .. وأن نتوقف لحظة لنفكر  
في أي طريق يسيرون .. وكيف سيكون  
حالهم عندما لا توجد من حولهم مظلات  
الرعاية والأمان .. من الأمهات والآباء  
والأجداد .. وهو حال الدنيا والزمان .. منذ  
أن بدأ الزمان !!!

\*\*\*\*\*

بعد أن سمع سيدنا الفيلسوف قصة  
الأسد المسكين اتجه إلي خيمته فدلف إليها  
صامتاً .. وقضى ساعة في تأمل عميق .. ثم  
عاد وقد ملأه الحماس مرة أخرى .. وصاح  
بالطبيب ..

وكما تطلب النفس البشرية بعض الخصوصية في المكان .. وكذلك في الزمان فإنها تطلبها أيضا في المال .. فقد يكون دخل الأسرة واضحا معروفا لكل أطرافها .. وقد يستلزم تقسيم هذا الدخل بين أفراد الأسرة أن يكون ما يصرفه كل منهم محدداً يُطلع عليه الجميع .. ونحن إذ ذاك نجد كلاً منهم لا يكف عن الشكوي من قلة المال المخصص له والمطالبة بالمزيد .. وهنا تبرز ملحوظة غريبة لاحظها علماء النفس :

فلو أُعطي كل من هؤلاء الأفراد نفس كمية المال التي أعطيت له من قبل .. ولكن لم يطالبه الآخرون بالاطلاع على تفاصيل إنفاقها فإن الشكوي من قلة المال تختفي بدرجة لا تقل عن خمسين بالمائة .. وليس لهذا إلا تفسيراً واحداً : ففي سبيل أن يحتفظ الإنسان بخصوصية إنفاقه للمال نجده مستعداً لقبول التضحية بجزء منه .....

ولو تأمل كل منا في محيطه الشخصي لدُهِش من مظاهر تطبيق هذه الملحوظة النفسية البسيطة .. فصاحب البيت قد يخفي عن زوجته بضعة جنيهات يشتري بها أشياء يحبها .. ولكنها تبو تافهة ومحرجة إذا تعرضت للعناية والمناقشات .. والزوجة قد تختصر جزءاً من مصروف البيت تنفقه كما يحلو لها دون حساب من أحد .. وكذلك الأبناء .. وحتى

بكثير مما لو عاش كل منهم وحده .. ولكن بشرط واحد .. وواحد فقط يجمع الجميع عليه بلا استثناء :

وهو أن يكون لكل منهم ركن خاص يمكن أن يعتبره مقدساً .. لا يقترب منه أي فرد آخر من أفراد الأسرة ...

قد يكون هذا الركن الخاص غرفة كاملة .. وقد يكون سريراً .. وقد يكون دولاباً .. أو علي أقل القليل درجاً واحداً في قطعة من قطع الأثاث ... فإذا اختفي هذا الشرط البسيط ولم يمكن توافره فإن المسكن إذ ذاك يصبح خانقاً لا يطاق .. تمجُّه كل نفس تعيش فيه ..

إن هذا المكان أو الركن البسيط المقدس يشعر صاحبه بأنميته وتفرده عن باقي أفراد الأسرة .. والخصوصية صفة هامة تطلبها كل نفس بشرية ..

وكما تطلبها النفس البشرية في المكان ، فإنها تطلبها أيضا في الزمان .. فكل إنسان يحتاج أحيانا الي وقت خاص به يتفرد فيه بنفسه جسداً وروحاً عن باقي البشر ..

وفي كثير من المجتمعات الغربية قد نجد إنساناً علي كرسي في حديقة عامة .. يعتذر له الآخرون .. بل ويستأذنونهم إذا جلسوا بالقرب منه .. وهو مكان عام !.. لأنهم يُقدرون أهمية الرغبة في الوحدة أحيانا عند أي إنسان ..

الطفل الصغير في المدرسة يعطي أهمية كبرى للقروش البسيطة التي يمكنه إنفاقها دون أن يحاسبه عليها أحد ..

وفي بعض الشركات الكبرى في الدول الغربية واليابان .. حيث تحظى شخصية المدير وراحته النفسية بأقصى درجات الاهتمام والرعاية .. فانتنا نجد بنداً معيناً من المبالغ يسمى بالمصروفات دون حساب unaccountable expenses يوضع تحت تصرف كل فرد من أفراد الإدارة ..

وقد وجدت التجارب النفسية أنه يندر أن يكون هذا الإنفاق الخاص إنفاقاً في أي وجه غير مشروع .. وأن تفاهة المبالغ وتفاهة ما تُنفق فيه أحياناً لا تعني إلا التفسير النفسي الواضح وهو مجرد الرغبة في الخصوصية .. والرغبة في وجود شيء ما .. أياً كان .. يمكن أن لا يطلع عليه الآخرون !!..

وقد تكون هذه مجرد ملحوظة أكاديمية .. ولكننا نجد أنه من الممكن استغلالها إلى أقصى الحدود .. في تدريب أطفالنا وتعريفهم بعالم المال بكل أبعاده واعتبارات منذ الصغر ..

فإذا افترضنا أن مصروف الطفل هو مبلغ س وهو في سن الخامسة .. ويزيد

إلى مبلغ ٣ س في سن الخامسة عشرة علي سبيل المثال .. وأنه لا يستعمل هذا المصروف إلا في التشرّيات التافهة في المدرسة وفي الطريق .. فإنه يمكننا زيادة هذه المبالغ ثلاثة أضعاف دون أن نخسر شيئاً .. إذا جئناهم مسئولين عن بنود أخرى من احتياجاتهم كبعض الكتب أو الملابس .. أو هداياهم لأصدقائهم ومصروفات التزهات والرحلات .. الخ الخ

ومن المؤكد أن هذا الترتيب سوف يخلق عند الطفل شعوراً بالمسئولية المالية عن نفسه منذ سن مبكرة وسوف يمكنه من تقييم قيمة المال منذ الصغر .. عندما يضحي بقطعتين من الشوكولاتة علي سبيل المثال لكي يشتري مجلة مليئة بالصور المسلية .. أو يدفع رسوم رحلة مع الأصدقاء ..

ويجب أن لا يكون هذا المصروف وكأنه أجر مرتبط بحسن سلوك .. أو بعمل يؤديه الطفل .. بل يجب أن يكون حقاً أساسياً له من دخل الأسرة ( كبيراً كان أو صغيراً ) يُشعره بقيمته كأحد أفرادها ..

وقد يُستخدم الحرمان من المصروف الشخصي باعتباره وسيلة عقاب .. وهو سلاح ذو حدين .. فالطفل تحت سن العاشرة قد يربط كل أنواع العقوبات بمعنى آخر هام وهو : " انعدام الحب " .. وإذا كان الحذر في مسألة الشعور

كلهم صغار .. وأمه .. وزوجة أبيه ..

وشحنهم عبد الحميد جميعاً إلي  
المركز .. وهو المدينة المجاورة .. واتخذ لهم  
شقتين متقابلتين .. وحشر كل صغير في  
مدرسة تناسب عمره .. ووضع في كل من  
المسكنين عصا طويلة تقارب المترين .. وأُنذر  
الجميع بأن هذه العصا هي رمز سلطته  
وجوده .. وسوف لا يتردد في استعمالها  
عند اللزوم ..

وعاد عبد الحميد إلي قريته .. كان  
يعشق رائحة الزرع والأرض .. وكان يسكر  
من رائحة البهائم في الزريبة .. وشمر عن  
ساعديه .. ولم يمض عامان حتي كانت الفلة  
تفيض بين يديه مالاً وفيراً ..  
مال عبد الحميد علي ابن عم له من  
الفدايين مائة .. وليس بينه وبين الأرض أي  
ود أو استلطاف .. واشتري منه أرضه ..  
وفي خلال أعوام عشرة كانت الفدايين قد  
وصلت ألفاً بالتمام والكمال .. وصار لعبد  
الحميد صيت ونفوذ في المركز والقري  
المجاورة .. وأصبح في إمكانه أن يأمر  
فينجح مرشح الحكومة لمجلس النواب .. أو  
يفضب عليه فتُخسف به الأرض خسفاً ..  
وجاعته الباشوية علي طبق من ذهب ..  
وفجأة أفاق لنفسه .. أين الولد .. أين  
العصب !!..

تزوج عبد الحميد وهو في سن  
الأربعين .. ورزق بولدين أقمرين .. لكل

بالحب واجباً فيما يتعلق بالعقوبات البدنية  
علي سبيل المثال .. فإن الحذر واجب أكثر  
وأكثر فيما يتعلق بالمال .. لأنه إذا ارتبط  
المال في نفسية الطفل ( أو الطفلة )  
بعاطفة الحب بالذات .. فقد يصبح هذا بذرة  
خبيثة .. غاية في الخبث .. تكبر مع الأيام  
وتُكَمِّر حياته وحياة الآخرين !!..

وللأسف أن هؤلاء الآخرين .. هم  
دائماً أقرب الأقربين !!..

قال بيدبا .. ياطبيب .. والله ما كان  
مثل هذا الحديث يخطر لي علي بال من  
قبل .. وإنني والله لبادئ غداً .. ولي مع  
أطفالي حديث طويل ..  
قال الطبيب .. إذن لا كافئتك ببعض  
من قصص عن بني البشر .. لا تختلف كثيراً  
عن مثيلاتها من عالم الأشبال والأسود ..  
والنمور والفهود ..

\*\*\*\*\*

## القصة الأولى :

كانت عزبة ذات ألف فدان من أجود  
الأراضي .. عزبة الباشا عبد الحميد ..  
يحدّها من الشرق طريق السيارات السريع  
ويحدّها من الغرب الرياح الكبير .. يرويها  
بمائه العذب لون جهد أو تعب ..  
كان كل ما ورثه عن أبيه فدايين  
خمسين .. وعشرة من الإخوة والأخوات ..

ولم تمض سنوات عشرة حتي كانت  
الديون والخسائر قد أبتلعت ثلاثة أرباع  
الأرض .. وأصبح أحمد بك وهو في سن  
الثلاثين وكأنه شيخ عجوز في الثمانين ..  
ينهش جسمه الضغط والسكر وكل العلال ..  
وأصبح قليل الحيلة لا يدري كيف الخروج من  
مأزق وضعه فيه أبوه !!

جاء أعمامه يزورونه .. ويواسون فيه  
ابن الأخ الكبير .. الباشا الحبيب ذي  
الأفضال والكرم والجود .. ورأهم عشرة  
كاملة من رجال ونساء .. وقبيلة من الأزواج  
والزوجات والأبناء والبنات .. كل منهم يعمل  
عملاً .. هذا أنشأ مصنعاً .. وذاك أصبح  
أستاذاً في جامعة .. وتلك أصبحت صحفية  
يرتج لقلمها الرجال .. ويحسبون لها ألف  
حساب .. وهذا .. وذاك .. وتلك ..

واسانن منهم أحمد بك في يضع  
بقائق .. قال عندي مشوار هام .. وانسل  
خارجاً من الباب الخلفي .. وصرف السائق  
وركب سيارته وحده .. ووصل إلي مقابر  
القرية .. وجلس هناك وحيداً .. يعاتبُ  
أباه ..

يُعاتب الباشا عبد الحميد !!..

\* \* \*

ومسح بيده دمعاً كبيرة ترقرت في  
عينيه .. وقام إلي خيمته .. لقد أحننتنا والله  
يا طبيب .. وإنني لا أحمل الليلة قصة أخرى

منهما وجه البدر في التمام .. وسن ضاحك  
يكاد في عيني أبيه يطفي علي نور  
الشمس ..

فرش لهما عبد الحميد الأرض  
سجداً ليناً يمشيان عليه .. وأحاط كلاً  
منهما بالخدم والحشم رهن إشارة  
من إصبعه .. كان الفراش ريش نعام ..  
واللباس حريراً وكشميراً وفراء .. والحذاء  
جلد غزال .. والسيارة ذات أمتار ستة ..  
يتناوب عليها سائقان ليل نهار .. أما الطعام  
فله من الطباخين عشرة يتباري كل منهم في  
إرضاء صاحبي العزة الصغيرين .. أحمد بك  
ومحمود بك .. حتي صار كل منهما كالكرنب  
البيضاء .. لحم غض .. وكرش كبير ..  
ومات عبد الحميد في سن الستين ..  
ولجأ الفلاحون إلي البكريين الصغيرين ..  
وسلماهما الزمام ..

كان أحمد بك يظن أنه يكفي أن  
يعطي الأمر للأرض أن تثبت زرعاً جيداً  
فتطيع .. أما محمود بك فقد عهد بأرضه إلي  
أخيه .. وغادر القرية إلي القاهرة .. وأصبح  
مقره الرئيسي في شارع عماد الدين ..

وبدأت الأرض في عصيان السيد  
الجديد الذي لا يدري من الأمر شيئاً .. وظن  
أحمد بك أن العيب الذي فيه هو أنه طيب  
أكثر من اللزوم .. فأطال لسانه .. وأطال  
يديه .. ولم تستجب الأرض .. بل وبدأ  
الفلاحون والمساعدون بهجرونها واحداً تلو  
الأخر .. وهو في أمره من عجب .. ما  
الخطب ؟ وما السبب !!؟



حيث يذهب الإبن فيه مع أبيه ليتسلم مفاتيح العمل .. وطافت برأس السيد والتر أحلام سعيدة من بعد أحلام .. ورأي نفسه وزيراً لأبيه الملك .. يأمر فيطاع .. ويشير للجواري من حوله فيرقصون ويغنون .. إلي أن أصبح الصباح ..

واصطحب الأب ابنه إلي رصيف الميناء .. وأمسك بعضا كبيرة من الخشب وحبلأ طويلاً غليظاً .. وسلمهما إلي والتر وكأنه يضع فوق رأسه أكاليل الفار .. وقال ستكون يابني شيخ الحمالين علي هذا الرصيف من الآن فصاعداً .. وسيعطيك هذا الرجل أجرك يوماً بعد يوم .. وسوف تنفق منه علي طعامك .. فلا تعودن إلي البيت كل ليلة إلا شبهان رويان .. نسمر معاً قليلاً .. ثم تنام ..

ذهل السيد الصغير .. وانتفض غاضباً .. وعاد إلي أمه ثائراً يلعن يومه الأسود .. ويلعن أباه الأسود .. هذا الرجل البخيل .. وغضبت الأم لغضب ابنها .. وثار الكلام يتطاير إلي اليمين وإلي اليسار .. وخرجت الملاك ذات الحسن والجمال من البيت .. وخرج معها ولي العهد يقسم لينتقم من أبيه .. كيف يبخل عليه بالمال وعنده منه الكثير .. وكيف يبخل علي ذات الحسن والجمال فلا يطيع لها أمراً ..

رحل الفاضبان إلي مدينة أخرى في البرازيل .. وعمل والتر في التجارة .. وتنقل من نجاح صغير إلي نجاح كبير .. محتضناً

غداً ليلة اكتمال القمر .. فلنجلس في المساء وتحكي لي عن حكاية أخرى من حكايات المال ..

\*\*\*\*\*

## القصة الثانية :

في ليلة اكتمل فيها البدر .. جلس يديبا إلي الطبيب يسمع قصة جديدة .. كان السيد اسمه الأسود .. وبلغته الألمانية هو السيد شوارتز .. كان قد ركب البحر في سن السادسة عشرة قاصداً بلداً بعيداً اسمه البرازيل .. يقولون أن فيها من الرزق الكثير ..

بدأ حملاً علي الرصيف .. ثم نجاراً يصنع الاكشاك التي تحمي العمال والبحارة من لسعة البرد والريح .. ثم تخرج إلي صناعة قوارب صيد السمك .. ثم سفن صيد صغيرة .. ثم أخرى أكبر وأكبر .. وجرى المال بين يديه وفيراً .. وبخلت بيته زوجة إيطالية الأصل ذات حسن وجمال .. وكثرت ملاك .. ورزق ولداً نجيباً أسماه والتر ..

أنهى والتر دراسته الثانوية خلال بضع سنوات .. وعاد متهللاً إلي البيت وخلفه أمه ذات الحسن والجمال .. ودخل علي أبيه شوارتز يذف البشري .. ويطلب منه أن يشركه معه في العمل ..

قضى الجميع ليلة سعيدة مدت فيها المائدة بما لذ وطاب .. من مأكول وشراب .. ونام الجميع علي موعد لقاء في الصباح

أمة ذات الحسن والجمال .. والتي بقيت  
تعيش علي الذكريات ..

يرجونه .. الصفع والغفران ..

\*\*\*\*\*

### القصة الثالثة :

صفق بيديا طرياً .. فقد هزت القصة  
وجدانه .. وشكر الطبيب علي سعة صدره  
ووقته .. وأقسم ليردّن الهدية بمثلها .. قال  
عندي قصة من الصين .. قال الطبيب هاتها  
ولكن إياك أن تكون قديمة قَدَم التاريخ ..  
واعتدل بيديا الفيلسوف وبدأ يحكي قصة  
حكاهما ذات يوم في بلاط الملك يانج ..  
سلطان الصين :

عمل الفلاح نونج شو سنين طوال في  
خدمة أحد الأمراء .. وكافاه الأمير فأقطعه  
قطعة أرض صغيرة علي أطراف إمارته ..  
وفرّح نونج شو وفرحاً عظيماً .. وركب  
حصانه أياماً سبعة حتي وصل إلي هذه  
الأرض .. وركع يقبل ثراها شاكراً للكهة  
هذه النعمة العظيمة ..

واستدعي نونج شو أولاده الثلاثة  
بيشرهم بالبشري الكبيرة .. فإذا بهم  
جميعاً يقلبون وجوههم وشفاهم في  
احتقار .. يابّت إنها أرض بوار .. وما  
أعطاهم لك الأمير إلا أنه قد زهدها .. فليس  
فيها إلا خير قليل .. وتهلل وجه نونج شو ..  
وأقسم لأولاده بكل الآلهة أنه يوجد في هذه  
الأرض كنز كبير .. دفنه أحد وزراء الأمير  
قبل موته في أحد أركانها .. واستحلفهم

أما السيد شوارتز فقد رزقه الله  
ملاكاً آخر .. من أصل إنجليزي .. أجمل من  
ذات الحسن والجمال ذات الدم الإيطالي  
الفائر الغاضب .. وأنجبا بنين وبنات ..  
دخلوا جميعاً إلي أرقى الجامعات .. وتفرقوا  
في بلاد الله الواسعة .. إلي أن مرض أبوهم  
مرضاً ألجأه إلي الفراش .. وأحس بدنو  
الأجل .. فاستدعي أبنائه جميعاً .. وأرسل  
إلي السيد والتر .. فرفض الحضور .. إنه لم  
يعد في حاجة إلي هذا الأب البخيل ..  
وأرسل رسالة مقتضبة مع أمه قائلاً أن عنده  
عمل كثير ..

وانعقد المجلس .. وحضر المحامون  
والشهود .. وأملى السيد شوارتز وصيته ..  
لقد أعطي الإنجليزية وأولادها العلم والمعرفة  
والشهادات الكبار .. أما مصنعه وتجارته  
فقد كتبها كلها للسيد والتر .. الغاضب  
الصغير .. وكتب له رسالة سلمها لأمه ..  
رسالة تقول :

( يا بني .. لقد أعطيتك حبلاً غليظاً  
تبدأ به حياتك .. ولكنك اخترت حبلاً غليظاً  
آخر .. بعيداً عن بيت أبيك .. والنتيجة واحدة  
فهذا ما كنت أبغي وأريد .. وما كنت عليك أو  
علي أمك يبخيل .. )  
ولفظ الرجل أنفاسه .. وركع الملاك  
الإيطالي الجميل أمام قدميه ..

يصنع من الآلات ما يحتاجه وبعضاً من مزيد .. وذاك يخيط قماشاً وكساءً له ولأهله .. وبعضاً يفيض .. ويتبادل كل منهم ما فاض عن حاجته ..

ومع مرور القرون أصبحت وسيلة المقايضة هذه عاجزة عن خدمة الملايين من البشر .. فاخترعوا ما أسموه بالمال ليكون وسيلة أفضل وأسهل لتبادل المنافع والأرزاق والخدمات ..

إنّ المال أصلاً لم يخلقه الله .. بل هو من اختراع البشر .. وهو المحصلة النهائية لما يعملون .. أي أن المصدر الرئيسي الأول للمال هو العمل ..

ومع الوقت ظهر مصدر آخر من مصادر المال .. وهو ما يرثه الإنسان عند موت أبيه .. وهو مالٌ نتج عن عمل جده وأبيه .. ولم يكن له في جمعه أي فضل ..

ومال الميراث هذا سلاح ذو عشرة حلود .. منها الخير العميم .. ومنها أيضاً كل شرور الأرض .. والفارق بين هذا وذاك هو خيط رفيع لا تكاد تراه العين ..

وما هذه القصص الثلاث إلا مثلاً بسيطاً لآلاف وآلاف من مثيلاتها تحدث كل يوم في أركان الأرض الأربعة .. من الشرق إلى الغرب .. ومن الشمال إلى أقصى الجنوب ..

ببالهة .. وبذكري أمهم التي رحلت منذ سنين .. أن يحفروها شبراً شبراً بحثاً عن هذا المال العظيم ..

عاد الأبناء الثلاثة بعد أسابيع خمسة وقد هدّهم التعب .. وألقوا بفئوسهم في ركن الدار .. وجلسوا غاضبين .. لم نجد شيئاً يا أبي .. ثم ما هذا الكيس الكبير الذي تجلس فوقه ؟

قال الشيخ يا أبنائي هذا هو الكنز .. سبقتمكم إليه .. فانظروا .. وفتخوا الكيس فوجئوه مليئاً بالبنور .. يا أولادي لقد كانت هذه الأرض بواراً لأنها لم تجد من يحرقها ويقلب ثراها .. والآن قد فعلتم ذلك .. إذهبوا فازرعوا هذه البنور .. وعمّروا هذه الأرض .. وادعوا لي بالصحة .. وادعوا للأمير بطول العز والسلطان ..

\*\*\*\*\*

إن الدراهم في الأماكن كلها .. تكسو الرجال مهابةً وجلالاً .. فهي اللسان لمن أراد بياناً .. وهي السلاح لمن أراد قتالاً !!

\*\*\*\*\*

لقد كان اختراع المال هو النتيجة الطبيعية لخوف الإنسان من العيش وحيداً .. وحرصه على العيش مع الآخرين .. كلٌ منهم يعمل عملاً يتقنه أفضل من الباقين .. هذا يزرع فيحصد ما يحتاجه ثم يفيض .. وهذا

وأفضل ما يمكن أن نفعله هو أن  
نعيد قراءة هذا الحديث من أوله مرة  
أخرى .. وأخرى .. ومرات ومرات .. وسوف  
نكتشف أن الحديث يكتسب في كل مرة  
معاني جديدة لم نلاحظها من قبل ..

وسنجد أنه يُنكرنا بقصص كثيرة  
مثيلة .. حدثت لنا .. أو لأقرباء لنا .. عبر  
الزمان ..

ونبدأ في كل مرة بأي واحد من هذه  
العناوين الطريفة :

أطفال الثراء ..

أطفال الثروة ..

أطفال الغني ..

أطفال الجاه ..

أطفال النعيم ..

\*\*\*\*\*